التماسك النصي في شعر ابن البراق الوادي

Text Coherence in Poetry of Ibn Al-Buraq Al-Wadi

م. د. سرى طاهر هوين(*)

Dr. Sura Tahir Hween

sari.taher@cois.uobaghdad.edu.iq

المستخلص

من المعروف أنّ التّماسك النّصّي ليس خاصّيّة تجريديّة للأقوال الشعرية عند ابن البرّاق الوادي، أي إنَّ التماسك النّصّي يعني البنية الدلاليّة الكبرى، المرتبطة أساسًا بالموضوع الكلّي لموضوع القصيدة. فالتّماسك عنده، ما هو إلاَّ عبارة عن علاقة لفظيّة أو دلاليّة بين أجزاء القصيدة.

حاول البحث إيجاد العلاقات الاتساقية في شعر ابن البرّاق الوادي، فضلاً عن الوسائل التي تسهم في هذه العلاقات. عن طريق إظهارها وبيان عملها في ربط أجزاء النّص واتّساقه، إذ تمثّل جميع قصائده وحدة دلالية، تجعل من أيّ بيت شعري، نصًّا متكاملًا من حيث المعنى والدّلالة. عِبر تحليلنا لقصائده نجد أنّها تحتوي على مقوّمات كثيرة للتماسك النصّي.

وانطلاقًا من خصوصيّة النّص الشّعري عند ابن البرّاق، فقد ارتأيت بعد تمحيصي لأشعاره، أنّ القواعد الصّالحة لوصف التماسك النّصّي في شعره، ترتكز على قاعدتين اثنتين هما :التوسيع والدّمج، وتندرج من نحو الجملة (الخوالدة، ٢٠٠٦م، الصفحات ٣٩-٤١)، وذلك بعد قراءة نصوصه الشعريّة التي وصلتنا.

كشف البحث عن عناية ابن البراق الوادي بالبنية السطحية للنص المتمثلة بالمستويين النحوي والدلالي عبر عناصر محددة تألفت منها أبنية النص بوحداته الصغرى بهدف تكوين نص متماسك.

الكلمات المفتاحية: المعايير النصية، التماسك النصي، الاتساق النصي، نحو النص، ابن البراق الوادي آشي.

(*)جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية

Abstract

It is well known that textual coherence is not an abstract property of the poetic sayings of Ibn al-Buraq al-Wadi, meaning that textual coherence means the major semantic structure, which is essentially linked to the overall theme of the subject of the poem. For him, the coherence is nothing but a verbal or semantic relationship between the parts of the poem.

The research attempted to find the coherent relationships in the poetry of Ibn Al-Buraq Al-Wadi, as well as the means that contribute to these relationships. By showing them and explaining their work, in linking the parts of the text and its consistency, as all his poems represent a semantic unit, which makes any poetic verse an integrated text in terms of meaning and significance. Through our analysis of his poems, we find that they contain many elements of textual coherence, which we will review in turn.

So, based on the specificity of the poetic text of Ibn Al-Buraq, after my examination of his poems, I saw that the valid rules for describing textual coherence in his poetry are based on two rules: expansion and merging, and they fall from the syntax of the sentence, after reading his poetic texts that have come down to us.

The research revealed Ibn Al-Buraq Al-Wadi's interest in the superficial structure of the text represented by the grammatical and semantic levels through specific elements that consisted of the text's structures in its smallest units in order to form a coherent text.

Keywords: textual standards, textual coherence, textual coherence, text grammar, Ibn al-Buraq al-Wadi Ashi.

الشاعر في سطور

هـو محمّد بن علي بن محمّد بن إبراهيم بن محمد، همداني النسب، قومه هم بني البراق من عرب اليمن، وقد دخلوا على شـكل طوالع أيّام فتـح الأندلـس. وأكدت الأبحاث أنّـه من أعيان الأندلـس التي ولد فيها .ولـم يكن من الطارئين عليها. نشـأ في بلدتـه وادي آش، أخذ العلم عن عـدد كبير من الشـيوخ وقد انتفـع بعلمهم بعدّة طرائـق، حضورًا أو مشـافهة كمـا أنَّ بعضهم أجازوه مـن دون لقاء أو مشـافهة. ممّا أثر في تكوين شـخصيته العلمية والأدبية (الأندلسـي، ١٩٩٣م، الصفحات ١٨٠-١٨١).

وابن البراق الوادي آشـي حاله حال شعراء بلاده ضاعـت أكثر أخباره وأشـعاره، لذلك لم يبقَ من آثاره الّا القليل. كانت ولادته سـنة٥٢٩ ه (البلنسـي، ١٩٩٥م، الصفحـات ٣٨-٤٠). كان عينًا من أعيان مدينته، وقد تردد اسـمه في الكثيـر من المصادر، لكن لـم يصلنا من نتاجه إلّا القليل.

برع في الشّعر كثيرًا، كان سريع الارتجال. قـال عنه الضبّي (الضبي، ١٩٨٩م، الصفحات ١٥٤-١٥٥): رأيتُ من شعره مجموعًا يشهد له بتقدّمه بالأدب، أمّا ابن الآبار فقال عنه: شـعره مدوّن وسمّاه نور الكمائم، ذكره ابن عياد. وقال أنشدنا شـعره (البلنسي ا.، ١٩٨٦م، الصفحات ٧٨-٨٠).

كما تحـدّث ابن عبد الملك المراكشـي عن المعارف التي برع فيها ابن البراق فأشـاد بها، ممّا يعني أنَّ الرّجل عُرف بعلو الشـأن، وكذلك بعلـوم الحديث والطّـب والأدب الذي امتاز به. فقـال عنه: كان محدّثًا بارعًا، ذا نظر صالح في الطّـب، أديبًا بارعًا، كاتبًـا بليغًا، مكثرًا مُجيدًا، سـريع البديهة في النظـم والنثر، والأدب غلب عليه، قال أبو القاسـم ابـن المواعيني: ما رأيتُ فـي عباد الله أسـرع ارتجالًا منه (المراكشـي، ٢٠١٢م، الصفحات ٤٨-٤٩).

واعتمـدت الباحثة على شـعر ابـن البراق الوداي آشي الذي جمعه الدكتور صفاء عبد الله برهان في بحثه الموسـوم (ابـن البراق الوادي آشـي حياته وما تبقى من شعره)، إذ يقول: "قم الباحـث بجمع مـا أظهرته لنا الأيام من شـعر الشـاعر، بحسـب ما قام به من استقصاء لذلك النتـاج، بمـا أدركه من المصـادر التي تحدثت عنـه، فجمـع منه ما وجـد منه، وهـو ما يمثل صـورة مؤقتة لكمية الشـعر وطبيعـة التجربة الشعرية عند ابن البراق الوادي آشي" (برهان، ٢٠٢١م، صفحة ٦٥).

بين يدي المفهوم

أورد ابن منظور (ت٧١١ه) قوله: «المسيك مـن الأسـاقي التـي تحبـس الماء فـلا ينضح، وأرض مسيكة لا تنشِّف الماء لصلابتها وأرض مساك أيضاً» (الأنصاري، ب.ت، صفحة مادة (مسك)).

ويـدل لفظ (التماسـك) في معظـم المعاجم العربية على المتانة والصلابة وترابط الأجزاء بعضها ببعض.

أما اصطلاحـاً فنجد أن الصفـة الجوهرية القـارّة في النص مفادها ذلـك الترابط والتلاحم بيـن الأجـزاء التي تكوّن النـص، وهذه الصفة

تَظْهر وتتجلى في سطح النص أو ظاهره، ونعني بظاهر النص الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني، والتي نخطُّها أو نراها بما هي كمّ متّصل على صفحة الورق (عبد المجيد، ١٩٩٨م، صفحة ٧٦).

وللتماسك النصي أثر فاعل في ربط النصوص وتماسكها، كما أنها تجعل النص محافظاً على استمراريته.

وللتماسك شكلان هما: السبك (الربط، والتضام، والترابط الرصفي)، والحبك (الانسجام، والاتساق، والالتحام) (أمان، ب.ت، صفحة ٩).

"وهو التحام ظاهر النص مع باطنه، وبعبارة أخرى، التحام شكله مع مضمونه"، وصفوة القول: التماسك النصي هو: "علاقة معنوية بين عنصر النص وعنصر آخر يكون ضرورياً لتفسير النص الذي يحمل مجموعة من الحقائق المتوالية، فإذا كانت الجملة تشير إلى حقيقة بمجموعة من الكلمات فإن توالي الجمل سوف يشير إلى مجموعة من الحقائق" (العيد، ب.ت، صفحة ١٢٧).

ومصطلح التماسك النصي يندرج تحت علم لغة النص، أو لسانيات النص، الذي يقوم على دراسة النص اللغوي في إطار يضمن له الترابط والتماسك، ويمثل النص -في دراسات اللسانية المعاصرة- مفهوماً مركزياً يتجاوز الجملة إلى فضاء لغوي أوسع هو فضاء النص، فهو "خاصية دلالية للخطاب، تعتمد على فهم كل جملة مكونة للنص في علاقتها بما يُفهم الجمل الأخرى" (صلاح، ١٩٩٢م، صفحة ٢٤٤)، ويرى علماء لسانيات النص أن التماسك يربط بين جانبين: الشكل والمضمون، وبهما يتحقق التحام ظاهر النص مع باطنه (العيد، ب.ت، صفحة ١٢٧).

ويرى هاليداي ورقية حسن أن حقيقة النص قائمة على التماسك الناتج من انتظام العناصر ضمن النسق اللغوي فـ"النص وحدة دلالية، وليست الجمل إلاَّ وسيلة التي يتحقق بها النص، فلكي تكون لأي نص نصية ينبغي أن يعتمد على مجموعة من الوسائل في وحدته الشاملة" (خطابي، ١٩٩١، صفحة ١٣)، أي إن وحدة النص وتماسكه عن طريق انتظام العناصر ضمن النسق اللغوي هو الأساس في تحقيق نصٍّ متكامل متماسك.

أدوات التماسك في النص:

١- الإحالة:

الإحالة مصطلح يستعمل في عدة اختصاصات منها لسانيات النص (بلحوث، ٢٠٠٦م، صفحة ١٥)، فالإحالة «العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات» (عفيفي، ٢٠٠١م، صفحة ١١٦)، فهي تعني «العملية التي بمقتضاها تحيل اللفظة المستعملة على لفظة متقدمة عليها، فالعناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل» (وقرة، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٩م، صفحة ٨١)، فالإحالة تشير إلى الإرجاع والعودة إلى المرجع المحال عليه.

كما عرفها أحد الباحثين بأنها «استعمال كلمة أو عبارة مكان أُخرى سابقة أو لاحقة

فـي النص أو خارجه بما يـؤدي لذكر العنصر الإشاري والتعويضي عنه بعنصر ما بما يسهم في تحقيق التماسـك النصي، ومـن ثم فالإحالة تقوم على مبدأ التماثل بين العنصر الإحالي وما سـبق ذكره في مقـام آخر» (الفقـي، ٢٠٠٠م، صفحة ٣٩/١).

ويقـول كل من بـروان ويول عنهـا: «أما إحالة داخل النص فهي تتطلب من المسـتمع أو القارئ أن ينظر داخل النص للبحث عن الشيء المحـال عليـه» (ويول، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، صفحة ٢٣٩).

المحـال عليه يكون داخل النص لا خارجه، ويرى الأزهر الزناد أن هذه الإحالة هي «إحالة على العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ سابقة كانـت أو لاحقـة» (الزنـاد، ١٩٩٣م، صفحة ١١٨)، أي إن الإحالـة إمـا تحيل على عنصر سابق، وإما على لاحقٍ في النص.

وتنقسـم الإحالـة علـى نوعيـن رئيسـين (عفيفـي، ٢٠٠١م، صفحـة ١١٧) (حمداوي، ٢٠١٥م، صفحـة ٧٢) (خطابـي، ١٩٩١، صفحة ١٧):

إحالة داخل النص (نصية).

إحالة خارج النص (مقامية).

وهذان النوعان الرئيسـان للإحالة يعتمدان بدورهما على قسمين (عفيفي، ٢٠٠١م، صفحة ١١٧):

إحالة على السـابق (قبلية) وهي تعود على مفسر سبق التلفظ به.

إحالة على اللاحق (بعدية) وهي تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص ولاحق عليها.

وسائل التماسك الإحالية:

١- الضمائر:

يعـد الضميـر أحـد أدوات الإحالـة، وقـد ذكـر هالداي ورقية حسـن أن هناك نوعين من الضمائر التي تحيل على خارج النص فـ»جميع الضمائـر الدالة على المتكلـم والمخاطب، هي إحالـة لخارج النص بشـكل نمطي، ولا تصبح إحالـة داخل النص، أي اتسـاقية، إلاَّ في الكلام المستشـهد به، أو في خطابـات مكتوبة متنوعة مـن ضمنهـا الخطـاب السـردي» (خطابـي، ١٩٩١، صفحة ١٨)، فهـذه الضمائر لا تحقق الاتساق داخل النص إلاَّ في حالتين فقط، إما في الكلام المستشهد به وإما في الخطابات الأدبية.

وتـؤدي الضمائر دوراً مهماً في التماسـك والترابـط بين أجـزاء النـص، إذ إن الضمائر بأنواعها الخاصة بالمفرد والمثنى والجمع تحيل قبليـاً، وبهذا نجد أنها تسـاعد على جعل النص مترابطاً ومتناسقاً في ما بينه (خطابي، ١٩٩١، صفحة ١٨)، فهي وسـيلة بوصفهـا تربط بين أجـزاء النص المختلفة شـكلاً، ودلالة، خارجياً وداخليـاً، سـابقة ولاحقـة (الفقـي، ٢٠٠٠م، صفحة ٣٧/١).

والضمائر تنقسم على:

أ- ضمائر وجودية: مثل: أنا، وأنت، ونحن، وهـو، وهم، وهن... وغيرهـا، كقوله (برهان، ٢٠٢١م، صفحة ٧٣):

أنت خير الفروع من خير أصل مستنير السنا رفيع السناء

إذ أتى الضمير (أنت) ليحيل على أبي الربيع، وهي إحالة (قبلية) لربط السابق باللاحق؛ لتقوية النص وتماسكه.

وكذلك في قوله (برهان، ٢٠٢١م، صفحة ٧٧):

هو الفرعُ الذي ينميه أصل تكفّل بالنجابة للفروع

فالضمير (هو) أيضاً إحالة قبلية إلى أبي الربيع، وجاء الضمير للربط بين أجزاء النص وتماسكه.

وكذلك في قوله (برهان، ٢٠٢١م، صفحة ٧٧):

وكل محصّل منا حصيفٌ فإما غافل هو أو مضيع

فالضمير (هو) يحيل إحالة قبلية على (الإنسان)، والتقدير: (وكل إنسان محصل منا حصيف)، وهنا يكون دور المتلقي في محاولة فهم السياق ومعرفة المراد عن طريق تأويل النص وتفسيره.

وكذلك في قوله (برهان، ٢٠٢١م، صفحة ٧٧):

أصبح رضاه قد أبطأتَ عني وقد طال ارتقائي للظلوع

وقوله (برهان، ٢٠٢١م، صفحة ٧١):

كنتُ بالأمس أقرب الناس منكم وأنا اليوم أبعد البعداء

فالتاء في (أبطأتُ) والتاء في (كنتُ) مثلت إحالة بعدية، فالشاعر جسده بتوظيفه لتاء المتكلم، كما جاء في علمني (عني) و(ارتقائي)، وهذا ما يوضح تنوع التجليات البنيوية لضمير المتكلم بحسب تمظهره السياقي بعدّه منتجاً لدلالات النص وأحداثه باعتبار الحالة النفسية للشاعر المتجلية في ضمير المتكلم أنا.

ب- ضمائر الملكية:

المقصود بضمائر الملكية أن يكون هناك مالك ومملوك، وقد أكثر في استعمالها في قصائده، والمقصود بها الضمائر المتصلة (أبو راس، ٢٠٠٥م، الصفحات ٣٣-٣٤)، كقوله (برهان، ٢٠٢١م، صفحة ٧٤):

سرى بأعطافهِ ترنجا فشق أثوابهِ عن الطرب

فالهاء في (أعطافه) و(أثوابه) من ضمائر الملكية، والتي تسـهم في ربط النص وتماسـكه، وكذلك في قوله (برهان، ٢٠٢١م، صفحة ٧٧):

أعوذ بحلمهِ من شر نفسي وآمل منه جمال الصنيع

وقوله (برهان، ٢٠٢١م، صفحة ٧١):

أو ليس حبكِ للنبي محمد أضعاف ما بثتهُ من لوعاتها

فالهـاء في (حلمه)، والياء في (نفسـي)، والكاف في (حبك)، والهاء في (بثتـهُ) والهاء في (لوعاتها)، فقـد أسـهمت إحـالات الضمائر هنا إسـهاماً كبيراً في ترابط أجـزاء النص من حيـث اللفظ والمعنى، وأسهمت في خلق النصية، ومن ثم اتساق النص، حتى في مدحه النبوي في قصيدته (القرارة) اليثربية المخصوصة بشرف الأصفاء القدسية).

كثرت الإحالات عنده بالضمير في هذه القصيدة التي جاءت سـرداً مباشـراً، شعرنا ونحن نقرؤها أننا أمام خطيب لا شاعر كقوله (برهان، ٢٠٢١م، صفحة ٨٥):

يا كعبة الإسلام يا كهف الهدى يا صارف الأيام عن عاداتها

يا مصطفاها يا مرفع قدرها يا كهفها يا منتهى غاياتها

يا منتقاها من أرومة هاشم يا هاشمَ الصلبان في نزواتها

وقوله في القصيدة نفسها (برهان، ٢٠٢١م، صفحة ٨٥):

يا مصطفاها يا مرفع قدرها يا كهفها يا منتهى غاياتها

إلى أن يقول (برهان، ٢٠٢١م، صفحة ٨٥):

يا منتقاها من أرومة هاشم يا هاشمَ الصلبان في نزواتها

فالضمير الهاء في (عاداتها) وها في (مصطفاها) وها في (قدرها)، و(كهفها)، و(غاياتها)، و(منتقاها)، و(نزواتها)، أسهمت بترابط القصيدة لفظاً ومعنى.

١- الضمائر المستترة:

ففي قوله (برهان، ٢٠٢١م، صفحة ٧٩):

حاز الكمالين من خلق وأخلاق أبو الربيع بإجماع وصفاق

ملك سقت دوحة الآمال راحته فأصبحت ذات أثمار وإيراق

نلحظ أن الضمير المستتر في (حاز) فيه إحالة لمذكور سابق وهو (أبو الربيع)، وكذلك في الضمير المستتر بعد الفعل أصبحت إحالة لمذكور سابق أيضاً، وهي (الراحة).

أي إن ابن براق وظف الإحالة بنوعيها القبلية، والبعدية، وقد أسهمت في ترابط النص وتماسك أجزائه، فالإحالات الرئيسة تتجسد في الإحالات المهمة المتمثلة في ذات الشاعر (ابن براق)؛ لأنه أراد أن يعبّر عن تجربة ذاتية صادقة، مما يجعلها قادرة على التأثير في مشاعر الآخرين.

٢- أسماء الإشارة:

«وهي الوسيلة الثانية من وسائل التماسك النصي، وهو مفهوم لساني يجمع كل العناصر اللغوية التي تحيل مباشرة إلى المقام من حيث وجود الذات المتكلمة أو الزمن أو المكان، حيث ينجز الملفوظ والذي يرتبط به معناه» (الزناد، ١٩٩٣م، صفحة ١١٦).

ولأسماء الإشارة وظيفة أساسية في تحقيق التماسك بين البُنى النصية المتصلة أو المتباعدة في فضاء النص، وتصنَّف بما يتناسب مع خصوصية كل لغة، إما بحسب الظرفية: الزمان (الآن وغداً)، والمكان (هنا وهناك)، وإما بحسب القرب (هذه وهذا)، وإما البعد (ذلك وتلك)، ونظراً لهذه الأهمية ودورها في تماسك النص، فقد أكثر منها ابن البراق، إذ يقول (برهان، ٢٠٢١م، صفحة ٧٣):

أُبْتُم بالسرور خير إياب فهنيئاً لهذه الأرجاءِ

إلى أن يقول (برهان، ٢٠٢١م، صفحة ٧٣):

يفعل الله ما يشاء ومن ذا عن مداه يثني عنان القضاء؟

ويقول أيضاً (برهان، ٢٠٢١م، صفحة ٧٤):

تاه هذا الزمان منك بملْكٍ كلّ أيامه به أعيادُ

ويقول أيضاً (برهان، ٢٠٢١م، صفحة ٧٢):

يقول: هذي بلادي قد فتحت بها كفّي، فهل أنت يا مغرورُ متعظ؟

ويقول أيضاً (برهان، ٢٠٢١م، صفحة ٧٧):

هذا مقامي والأعْصار ماضيةٌ والغيُّ للناس محبوب إذا وعظوا

ويقول أيضاً (برهان، ٢٠٢١م، صفحة ٧٩):

هذي البلاد بكم نالتْ سعاداتها واستقبلت جدَّه من بعد إخلاقِ

فقد أسـهمت أسماء الإشارة في الأبيات السـابقة في إعطاء النص جمالية خاصة، كما أنها تقوم بالربط بين السـابق واللاحق، والمعروف أن أسماء الإشارة مبهمة يستخدمها المتكلم للدلالة على المشار إليه، الذي يزيل عنه الإبهام.

وكذلك في قوله (برهان، ٢٠٢١م، صفحة ٨٤):

هذا يمتّعها وذاك يشُوقها فالموتُ في يقظاتِها وسناتها

وكذلك في قوله (برهان، ٢٠٢١م، صفحة ٨٧):

فيعود حزناً عند ذاك لفرقة غسل الصفاء الشين عن صفحاتها

إذ نلاحظ أن أسماء الإشارة أقامت شبكة من العلاقات الداخلية، أسهمت في تحقيق الترابط والتماسك في فضاء النص، كما أحدثت نسيجاً متكاملاً ربطت فيه الأبيات بعضها ببعض، مما جعلها وحدة متكاملة.

٣- الحذف:

هو «استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن، أو أن يوسع أو يعدل بواسطة العبارة الناقصة» (روبرت، ب.ت، صفحة ٣٠١).

وتعد تقنية الحذف من أهم المقاييس التي يتم فيها الحكم على تماسك النص، مما يعمل على زيادة تكثيف الدلالة والاقتصاد اللغوي، كما يُعد الحذف من الإحالات التي تفسرها بنية النص العميقة، ويسهم في تحقيق التماسك النصي، وهو ما يؤدي إلى تحقيق الكفاءة النصية (الفقي، ٢٠٠٠م، صفحة ١٩٢).

يكاد لا يخلو نصٌّ من المحذوف، وهو على أنواع: الاسم، والضمير، أو الجملة وشبه الجملة، والمضاف والمضاف إليه، وهذه المحذوفات يستدل عليها من النص، أو التعرف عليها من سياق السرد.

ونجد أن ابن البراق كثيراً ما يستعمل الحذف؛ ليضفي ذلك التماسك على قصائده، كقوله (برهان، ٢٠٢١م، صفحة ٧٣):

وغدا للغبراء خيرَ شفيعٍ حينَ فازت برحمةِ الخضراءِ

فالمحذوف هنا هو الفاعل وهو الضمير المستتر.

وكذلك قوله (برهان، ٢٠٢١م، صفحة ٧٣):

لكم يا أبا الربيع مقامٌ أين منه مدائحي وثنائي

والمحذوف هنا اسم الإشارة (هذا)، والمقصود: أين من هذا المقام مدائحي وثنائي.

وكذلك قوله (برهان، ٢٠٢١م، صفحة ٧٤):

تاه هذا الزمان منك بملك كلّ أيامه به أعيادُ

والمقصود: كل أيامه موجود بها الأعياد.

وكذلك قوله (برهان، ٢٠٢١م، صفحة ٧٤):

لوت راحتيها حول وشيٍ وغالطت بأن خضّبت حناءها بسوادِ

والمقصود: باللون الأسود، إذ أجاد الشاعر في استعماله الحذف، فأبقى في النص قرينة تشير على العنصر المحذوف، وكان موضع الحذف مما يحسن فيه الحذف، بل كان الحذف أولى من الذكر، مما أسهم في تماسك النص.

٤- الاستبدال:

وهو عملية تنمُ في فضاء النص، ويعرفه النصيون بأنه: «تعويض في النص بعنصر آخر» (خطابي، ١٩٩١، صفحة ١٩)، أي إحلال عنصر لغوي محل عنصر آخر داخل النص.

والاستبدال يدل على مهارة الكاتب اللغوية وقدرته على استعمال اللغة، ويبين قدرة المتلقي على الربط بين عناصر النص وتقديره.

ومن أنواع الاستبدال (خطابي، ١٩٩١، صفحة ١٩):

أ- استبدال اسمي:

ويقصد به استعمال ألفاظ معينة مكان أسماء وردت في موضع سابق من النص، ومن ألفاظه: واحد، واحدة، آخر، أخرى (الداوودي، ٢٠١٠م، صفحة ٤٨).

ويعد الاستبدال من أهم الأدوات التي تهدف إلى تحقيق الترابط النصي، وهو يشبه الإحالة؛ لأنه يعمل على اتساق النص داخلياً.

ففي قوله (برهان، ٢٠٢١م، صفحة ٧٥):

يا بنت شمس ضُحىً يا أخت بدر دجى يا ضرَّة الغصن مهما راق بالثمر

استبدل (يا بنت شمس ضحى يا أخت بدر دجى) باسم الحبيبة.

وكذلك في قوله (برهان، ٢٠٢١م، صفحة ٧٧):

هو الفرع الذي ينميه أصلٌ تكفّل بالنجابة للفروعِ

إذ تم استبدال الاسم بكلمة الفرع.

وفي قوله (برهان، ٢٠٢١م، صفحة ٨٠):

يا ابن الخليفة فات المدحَ قدرُكم فأين من شأوه ركضي وإعناقي

ففي قوله: **يا ابن الخليفة فإن المدح قدركم** (برهان، ٢٠٢١م، صفحة ٨٠)، تم استبدال الاسم باللقب.

ب- استبدال فعلي: وفيه يحل محل فعل آخر متقدم عليه.

ج- استبدال قولي:

وفيه يحلّ عنصر لغوي محل عبارة داخل النص، ويشترط فيه أن يتضمن العنصر المستبدل به محتوى العبارة المستبدل عنها (خطابي، ١٩٩١، صفحة ١٩).

فقد اســتعمل الاستبدال للحفاظ على التماسك النصي، والاستبدال يكون بهدف التبديل والتحويل من أجل بناء نصّ لغوي مترابط.

٥- التكرار:

كذلك وظف الشــاعر ابن البراق (التكرار) من أجل تحقيــق العلاقة المتبادلة بين العناصر المكونة للنص، ويشــترط لتحقيق هذه الوظيفة شــرط أساسي، وهو أن يكون لهذا العنصر المكرر نسبة وردود عالية في النص تميزه من نظائره، إذ يؤدي إلى تحقيق التماســك النصي عن طريق امتداد عنصر من بدايــة النــص حتى آخره، وهذا الامتداد يربط بين عناصر النص مع مســاعدة عوامل الســبك الأخرى (الفقي، ٢٠٠٠م، صفحة ٢٢/٢).

ففي قوله (برهان، ٢٠٢١م، صفحة ٧٣):

أُبتم بالسرورِ خيرَ إيابِ فهنيئاً لهذه الأرجاء

وهنيئاً لكلِّ دانٍ وقاصٍ ما عممتم به من النعماء

تم تكرار كلمة (هنيئاً).

وكذلك في قوله (برهان، ٢٠٢١م، صفحة ٧١):

حظك من قلبي تعذيبه وحظه منك الأسى والوجيب

تكررت كلمة (الحظ) مع تغيير الضمير لتحقيق ذلك التماسك النصي.

وكذلك في قوله (برهان، ٢٠٢١م، صفحة ٧٥):

أتتك جبال الجود في النهر عوماً فيا عجباً كيف استقل بها النهر

ولو ألقيت في البحر عند مرودِه لكان جديراً أن يضيق بها البحر

إذ تكــررت كلمتا (النهر)، و(البحر)، ليســهم هــذا النمط من التكرار في تحقيق تماســك وحدات هذين البيتين، وتشكيل نغمة موسيقية متميزة.

نتائج البحث:

يُعد التماســك اللفظي إحدى الوســائل اللغوية التي تتحقق بها النصية، وهو ما برز واضحاً في شعر ابن البراق الوادي.

الإحالة علاقة جزئية تكون مثبتة في خطاب ما على المحور التركيبي بين عبارتين وتستعمل للجمع بين ملفوظتين أو بين فقرتين تسهم في تماسك وربط النص، وهو ما ظنه ابن البراق الوادي في شعره.

الاستبدال هو تعويض عنصر بعنصر آخر خطابي، يسهم في تماسك النص وترابطه، ونجد أن البراق الوادي قد اعتمد الاستبدال في شعره.

التكرار ظاهرة تعمل على تجسيد الاستمرارية والربط بين أجزاء النص، مما تؤدي إلى تحقيق التماسك والانسجام بين الوحدات اللغوية المؤلفة لأجزاء النص، وقد حفل شعر ابن البراق الوادي بكثير من النماذج والأمثلة التي عززت ظاهرة التكرار.

كشف البحث عن عناية ابن البراق الوادي بالبنية السطحية للنص المتمثلة بالمستويين النحوي والدلالي عبر عناصر محددة تألفت منها أبنية النص بوحداته الصغرى بهدف تكوين نص متماسك.

أدت وسائل التماسك النصي وظيفة دلالية مهمة في شعر ابن البراق الوادي كشف عنها ترابط النص عبر أدواته المعروفة.

المصادر:

- ابن الابار البلنسي. (١٩٨٦م). **تحفة القادم**. (تحقيق د.احسان عبّاس، المحرر) بيروت: دار الغرب الاسلامي.
- ابن الآبار البلنسي. (١٩٩٥م). **التّكملة لكتاب الصّلة**. (تحقيق: د.عبد السلام الهراس، المحرر) بيروت - لبنان: دار الفكر.
- ابن سعيد الأندلسي. (١٩٩٣م). **المغرب في حلى المغرب**. (تحقيق: د.شوقي ضيف، المحرر) القاهرة: دار المعارف.
- ابن عبد الله المراكشي. (٢٠١٢م). **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**. (تحقيق: د.إحسان عباس وآخرين، المحرر) تونس: دار الغرب الاسلامي.
- أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي. (١٩٨٩م). **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس**. (تحقيق ابراهيم الأبياري، المحرر) بيروت: دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللّبناني.
- أحمد عفيفي. (٢٠٠١م). **نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي**. القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.
- الأزهر الزناد. (١٩٩٣م). **نسيج النص، بحث ما يكون به الملفوظ نصاً** (المجلد ١). بيروت، لبنان، والدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
- بروان ويول. (١٤١٨هـ- ١٩٩٧م). **تحليل الخطاب**. المملكة العربية السعودية: النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود.
- جميل عبد المجيد. (١٩٩٨م). **البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية** (المجلد ١). القاهرة، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- د. جميل حمداوي. (٢٠١٥م). **محاضرات في لسانيات النص** (المجلد ١).
- د. صبحي إبراهيم الفقي. (٢٠٠٠م). **علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق** (المجلد ١). القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر.
- د. صفاء عبد الله برهان. (٢٠٢١م). **ابن براق**

الوادي آشـــي حياته وما تبقى من شـــعره. العراق: مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، مجلد١، عدد٤٠.

- د. عبد اللطيف جبار أمان. (ب.ت). دور الإحالة في تماســك النصي النحوي. شــرح التصريح للأزهري أنموذجاً. البصرة، العراق: جامعة البصرة، كلية الآداب.

- زاهرين مرهون بن خصيف الداوودي. (٢٠١٠م). الترابط النصي بين الشعر والنثر. عمان: عمان، دار جرير للنشر والتوزيع.

- شريف بلحوث. (٢٠٠٦م). الإحالة دراسة نظرية/ رسالة ماجستير. الجزائر: جامعة الجزائر، كلية الآداب واللغات.

- علاوي العيد. (ب.ت). التماسك النحوي أشكاله وآلياته ودراسة تطبيقية لنماذج من شعر محمد العيد آل خليفة. الجزائر: جامعة بسكرة، مجلة قراءات، العدد ٣.

- علي أبو راس. (٢٠٠٥م). الضمائر واستخداماتها. القاهرة: مكتبة الآداب.

- فتحي رزق الخوالدة. (٢٠٠٦م). تحليل الخطاب الشــعري ثنائية الاتســاق والانســجام في ديوان أحد عشر كوكبًا. عمان- الأردن: ازمنة للنشر والتوزيع.

- فضل صلاح. (١٩٩٢م). بلاغة الخطاب وعلم النص. الكويت: عالم المعرفة.

- محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الأنصاري. (ب.ت). لسان العرب. بيروت: دار صادر.

- محمد خطابي. (١٩٩١). لســانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب (المجلد ١). بيروت: المركز الثقافي العربي.

- نعمان بو وقرة. (١٤٢٩هـ- ٢٠٠٩م). المصطلحات الأساسية في لسانيات النص- دراسة معجمية (المجلد ١). عمان، الأردن: عالم الكتب الحديث، جدار الكتاب العالمي.

- يوجراند روبرت. (ب.ت). النص والخطاب والإجراء (المجلد ٢). القاهرة: عالم الكتب.